# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

# Orthodox Archdiocese of Beirut


## الرسالة

(فيليبي ٤: ٤-٩)

يا إخوةُ إفرحوا في الربِّ كُلَّ حينٍ وأقولُ أيضاً افرحوا* وليَظهَرْ حِلمُكم لجميع الناس. فإنَّ الربَّ قريبٌ* لا تهتمُّوا البتَّةَ بل في كلِّ شيءٍ فلتكُنْ طلباتُكم معلومةً لدى الله بالصلاةِ والتضرُّعِ مع الشكر* ليَحفَظْ سلامُ الله الذي يفوقُ كلَّ عقلٍ قلوبكم وبصائرَكم في يسوعَ المسيح* وبعدُ أيُّها الإخوةُ مهما يكُنْ من حقٍّ ومهما يكن من عَفافٍ ومهما يكُن من عدلٍ ومهما يكُن من طهارةٍ ومهما يكُنْ من صِفةٍ مُحبَّبةٍ ومهما يكن من حُسنِ صيتٍ إن تكن فضيلةٌ وإن يكُن مَدحٌ ففي هذه افتَكِروا* وما تعلَّمتُموهُ وتسلَّمتُموه وسمِعتموه ورأيتموه فيَّ فبهذا اعمَلوا. وإلهُ السلامِ يكونُ معكم.

## ملكوت المسيح

«ملكوته ملكوت أبدي، وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون» (دانيال ٧: ٢٧).

قد تبدو هذه الآية، المأخوذة من سفر دانيال غريبة عن واقع حالنا اليوم. فكيفما نظرنا إلى عالمنا الحاضر، نجد حكّام الشعوب وعلى تنوّع الأطُر والأساليب التي أوصلتهم إلى حيث هم، نجدهم لا يدركون (ولعلّهم حتى لا يأبهون) أنه ما كان لهم من سلطان لو لم يُعطَ لهم من فوق (يو ١٩: ١١). وأنهم مؤتمنون لا على من تولّوا عليهم وحسب، بل وأيضاً على المساهمة – من حيث هم – في تحقيق ملكوت الله على الأرض. فشعوب الأرض كيفما صُنّفت، «متطورة» أو «نامية» أو «في طور النمو» أو «متخلّفة»، نرى ثمّة مَن يُخضعها، ومهما تنوّعت الأساليب، إلى كلّ ما هو آيل بها إلى الابتعاد عن حق الله. أتضليلاً بالإيديولوجيات، أو قمعاً بالحديد والنار، أو إغراقاً في دوّامات الاستهلاك و / أو «تسميماً» بمفاهيم الحرية التي لا حرية فيها بالحقيقة ولا من يحرّرون. طبعاً إن هذا الإخضاع، في المجتمعات المصنّفة متطورة، أشكاله وأساليبه «أذكى وأدهى» منها في تلك المصنّفة متخلفة. فانفتاح العالم على بعضه واضمحلال المسافات، قلّص مساحات القمع الدّموي وحدّ من وهج الإيديولوجيات. هذا في الشكل. أما في المضمون فالإخضاع واحد وغايته هي هي: أن لا يبقى لله مُستَقَرّ على الأرض.


العدد ٢٠١٣/١٧

الأحد ٢٨ نيسان

أحد الشعانين

تذكار شهداء كيريكُس التسعة


يوم «اقتحم» يسوع أورشليم وهو «عادلٌ ومنصورٌ وديعٌ وراكبٌ على حمارٍ وعلى جحشٍ ابن أتانٍ» (زكريا ٩: ٩) لم يكن الواقع مختلفاً كثيراً عن واقعنا اليوم. فالذين كانوا يتآمرون على يسوع، وإن تراوحوا بين الحاسدين الخائفين على مناصبهم ومكتسباتهم الدنيوية وبين من لم يفهموا مقاصد الله ولا نبوءات الأنبياء، اشتعلوا غيظاً لما رأوا الجموع تحتشد خلف يسوع وتنادي باسمه مباركاً وآتياً باسم الرب. ولعلّ أكثر ما أغاظهم ليس كثرة المحتشدين وحسب بل فرح هؤلاء بيسوع. لعلّهم أيقنوا أن فرح الناس هذا لم يكن سطحيًا أو «مهرجانياً»، وهو إن تملّك من قلوب الناس سيتحرّر الناس من سطوتهم

## الإنجيل

(يوحنا ١٢: ١–١٨)

قبل الفصح بستة أيام
أتى يسوعُ إلى بيتَ عنيا
حيث كان لعازرُ الذي ماتَ
فأقامهُ يسوعُ من بين
الأموات* فصنعوا له هناك
عشاءً وكانت مرتا تخدِمُ
وكان لعازرُ أحدَ المتَّكئين
معه* أمَّا مريم فأخذتْ
رِطلَ طيبٍ من ناردين
خالص كثيرِ الثمن ودهنتْ
قدمَيْ يسوع ومسحتْ
قدميهِ بشعرِها* فامتلأ
البيتُ من رائحةِ الطيبِ*
فقال أحدُ تلاميذِه يهوذا
بنُ سمعان الإسخريوطيُّ
الذي كان مزمِعاً أن يُسْلِمَه
لِمَ لم يُبَعْ هذا الطيبُ بثلاثِ
مئةِ دينار ويُعطَ للمساكين*
وإنَّما قال هذا لا اهتماماً
منه بالمساكين بل لأنَّه
كان سارقاً وكان الصندوقُ
عندهُ وكان يحمِلُ ما يُلقى
فيه* فقالَ يسوعُ دَعْها
إنَّما حَفِظَتْهُ ليومِ دفني*
فإنَّ المساكينَ هم عندكم
في كل حينٍ وأمَّا أنا
فلستُ عندَكم في كلّ حينٍ*
وعلِمَ جمعٌ كثيرٌ من اليهود
أنَّ يسوعَ هناك فجاءوا لا
من أجل يسوعَ فقط بل
لِينظروا أيضاً لعازرَ الذي
أقامهُ من بين الأموات*
فأتمرَ رؤساءُ الكهنةِ أن
يقتلوا لعازرَ أيضاً* لأنَّ
كثيرين من اليهود كانوا

ولن يعودوا يقبلون أن يملك على قلوبهم ونفوسهم إلا ذاك الآتي باسم الرب. إذ ذاك ما عاد التآمر على يسوع بالحيلة، لاصطياده بكلمة (مر ١٣: ١٣–١٧) هنا وهناك يكفي، بل صار قتله مُلِحاً لا يحتمل التأجيل: «هوذا الوارث، فلنقتله ليعود الميراث إلينا»، كما أنبأ عنهم الرب يسوع نفسه في مَثَل الكرّامين القتلة (لو ٩: ١٨–٢٠). فهذه الـ«ليعود الميراث إلينا» هي إذاً بيت القصيد. وكأننا بهم آنذاك، ومثلهم حكّام الأرض اليوم، يقولون «إن تركنا صاحب الميراث الأصيل يسود، سيستعذب الناس طعم عدله وسلامه وفرحه ولن تبقى لنا عروش نعتليها ولا شعوب نُخضِعها». قلنا «مثلهم حكّام الأرض اليوم» لأننا كيفما نظرنا إلى العالم اليوم، ولا سيّما المصنّف «متطوراً» نرى الأنظمة لا تألو جهداً ولا توفّر حيلة لإلغاء الله من العالم، وإن زالت معظم أنظمة فَرْضِ الإلحاد بالقوة.

بدخوله الطوعي إلى حيث سوف يُعتَقَل ويتألم ويُصلب، أتى يسوع ليتسلّم ملكه، بل لينتزعه من أيدي مغتصبيه انتزاعاً. أي ليُعلن حصرية مُلكه، بقوّة، مرة واحدة وإلى الأبد. هذا هو تحديداً ما فهمه الذين احتشدوا وراءه هاتفين «هوشعنا لابن داود، مبارك الآتي باسم الرب». وهذا هو تحديداً ما يتحقّق في المؤمنين وهم يعيّدون أحد الشعانين. ولا نغالي إن قلنا ان طابع الفرح الذي يغلب على الإحتفال بأحد الشعانين هو تماماً كفرح الذين احتشدوا وراء الرب يسوع آنذاك: فرح الذين وجدوا أخيراً الملك المستحق المبايعة الأبدية، وفرحهم بأنّهم بايعوه.

يقول سِفر المزامير «من أفواه الأطفال والرضّع أسّست تسبيحاً» (٨: ٢)، في ترنيمة أحد الشعانين نقول «ونحن كالأطفال نحمل علامات الغلبة والظفر» وفي أيقونة الشعانين نرى أطفالاً يفرشون الثياب أمام السيّد وآخرين يلوّحون بأغصان النخيل. أكيد أن مَن تجمهروا حول السيد وهو داخل إلى أورشليم لم يكونوا أطفالاً، وإلا لما اهتمّ لهم المتآمرون على يسوع. الإشارة إلى الأطفال في كل هذا رمزية، معناها أن يكون فهمنا لِمُلك المسيح، وفهمنا لمبايعتنا إيّاه سيّداً أوحد على ذواتنا، عفوياً كيانياً مثل الأطفال الذين يفهمون بقلوبهم، لا بعقولهم. ولكي يفهم القلب، ينبغي أن يكون طاهراً، كقلب الطفل. وبمقدار ما تعوّد القلب أن لا يشتهي إلا ما هو لله، بمقدار ما تطهّر. إذ ذاك فقط يؤول فهمنا هذا إلى الفرح الحقيقي الذي لا يزول ولا يقوى عليه حزن.

نصّ الرسالة المتلو علينا في هذا اليوم يبدأ بعبارة «إفرحوا بالرب كل حين، وأقول أيضاً إفرحوا» (في ٤: ٤). وفي موضع آخر من الرسالة نفسها يقول الرسول بولس إلى أهل فيليبي إنه قد أعطيت لهم نعمة أن يتألّموا من أجل المسيح، والنعمة مدعاة فرح طبعاً. فهل هذا يعني أن على المؤمن أن يهوى الألم ويشتهيه، لكي ينال نعمة الفرح؟ قطعاً لا، وإلا لكانت هذه مازوشية مَرَضية. النعمة التي يتحدّث عنها القديس بولس هي أن فداء المسيح أعاد لنا حرية أن نسعى إلى رفض كل ما يُبعِدنا عن الله، بمؤازرة المسيح نفسه، وصولاً إلى الإمتلاء منه حتى الاتحاد الكامل معه. وهذا هو ملء الفرح، فرح اليقين بأنه قد

بسببهِ يذهبون فيؤمنون بيسوع* وفي الغد لمَّا سمع الجمعُ الكثيرُ الذين جاءوا إلى العيد بأنَّ يسوعَ آتٍ إلى أورشليم أخذوا سَعَفَ النخل وخرجوا للقائه وهم يصرُخون قائلين: هوشَعْنا مباركٌ الآتي باسم الربِّ ملكُ إسرائيل* وإنَّ يسوعَ وجد جحشاً فركِبه كما هو مكتوبٌ* لا تخافي يا ابنةَ صهيون. ها إنَّ ملِكَكِ يأتيكِ راكباً على جحش ابنِ أتانٍ* وهذه الأشياءُ لم يَفهَمْها تلاميذُهُ أوَّلاً ولكن لمَّا مُجِّد يسوعُ حينئذٍ تذكَّروا أنَّ هذه إنَّما كُتِبتْ عنه وأنَّهم عمِلوها له* وكان الجمعُ الذين كانوا معه حين نادى لعازرَ من القبرِ وأقامهُ من بين الأموات يشهدون له* ومن أجل هذا استقبَلَهُ الجمعُ لأنَّهم سمعوا بأنَّه قد صنعَ هذه الآية.

## تأمل

مهما يكن من حقٍّ وعفافٍ وعدلٍ وطهارةٍ وصفةٍ محبَّبةٍ وحُسن صيتٍ، إن تكن فضيلةٌ وإن يكن مدحٌ ففي هذه افتكروا.

يريد الرسول بولس من الإخوة أن ينتبهوا إلى علاقاتهم مع الناس. يقول فكّروا بكلّ هذا. يريد أن يبعدهم عن كلّ فكر شرير، لأنّ الأفكار الشريرة تقود إلى الأعمال الشريرة. «هذا عادت إلينا نزعة الامتداد إلى الكمال. هذا ولا بدّ من الإشارة إلى أن هذا الفرح، ليس ظرفياً بمعنى أنه ليس حالة نفسيّة يُبلَغ إليها إثر حَدَث سارّ ما. هذه ما تلبث أن تزول بزوال الحدث مسبّبها. إنه فرح يتذوّقه المؤمن من لحظة التزامه المسيح سيّداً أوحد على كيانه والإنجيل قانوناً أوحد لحياته، ويمتلئ منه بمقدار ما يبقى أميناً للإلتزام. حسبه أن يعي أنه من تلك اللحظة، وإن كان بعد في أول الطريق، هو آيل إلى حيث «لا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت» (رؤ ٢١: ٤).

## سبت النور

«ما هذا الصمت غير المحدود، المخيّم على الأرض في هذا اليوم؟ صمتٌ عظيم وهدوء كثير. صمتٌ عظيم لأن الملكَ نائم. خشعت الأرض فاستراحت لأن الإله قد رقد بالجسد. مات الإله بالجسد وارتعدت الجحيم. رقد الإله قليلاً والذين رقدوا منذ الدهر أقامهم من الجحيم» (القديس إبيفانيوس القبرصي). يوم السبت العظيم المقدس المعروف «بسبت النور» من أكثر الأيام تعقيداً، إذ إنّه يصل يوم الجمعة المقدس، ذكرى الآلام، بيوم القيامة. فيه يتنازع في آنٍ حزن الآلام وفرح القيامة. فهو لا يستبدل الحزن بالفرح إنّما يحول الحزن إلى فرح.

خدمة «سبت النور» التي نقيمها يوم السبت صباحاً هي خدمة غروب في بدايتها ثم نتابع قداس القديس باسيليوس الكبير. فيها نعلن غلبة المسيح على الجحيم والموت: «اليوم الجحيم تنهدت صارخة: قد انكسرت شوكتي لأنَّ الراعي صُلِبَ وأنهض آدم. والذين كنت مستولية عليهم فقدتُهم والذين ابتلعتهم باقتداري تقيَّأتهم بالجملة، لأنَّ المصلوب أخلى القبور واضمحلَّت شوكة الموت. فالمجد لصليبك يا ربُّ ولقيامتك».

نقرأ في خدمة «سبت النور» ثلاث قراءات من العهد القديم، المقطع الأول من سِفر التكوين (١: ١–١٣) يروي قصة الثلاثة الأيام الأولى من الخلق لأنَّ قيامة المسيح ستكون الخليقة الجديدة. المقطع الثاني من سفر يونان النبي الذي يذكر فيه كيف خرج من جوف الحوت في اليوم الثالث. أما القراءة الثالثة فهي من سِفر دانيال، حيث نقرأ قصة الفتيان الثلاثة الذين طرحوا في الأتون لرفضهم عبادة تمثال الملك لكنهم حُفظوا عجائبياً من الموت. ترمز هذه القراءة إلى غلبة المسيح القائم من بين الأموات «مبارك أنت يا ربُّ إله آبائنا وفوق المسبَّح وفوق المتعالي إلى الأبد، ومبارك اسم مجدك الأقدس الذي هو فوق المسبَّح وفوق المتعالي إلى الأبد. مبارك أنت الذي تنظر إلى الأعماق وأنت جالسٌ على الشاروبيم... مبارك أنت الجالس على كرسي مجد ملكك... مبارك أنت في جلد السماء...». وعند الإنتهاء من التبريكات، نرتل الصلاة الشكرية التي رتلها الفتية الثلاثة شاملة الخليقة في تسبيح الرب وتمجيده «أيتها المياه... أيتها النار والإحتراق... أيها الندى والثلج والجليد والبرد... أيتها الأرض والجبال والتلال...» مرنمين بعد كل واحدة منها «سبّحوا الربَّ وارفعوه إلى الأبد» ، وهكذا نُشرك الكون كله في فرح القيامة.

ما تعلّمتموه وتسلّمتموه».
هذا هو البرهان على التعليم الأفضل أن يقدّم الرسول في نصائحه نفسه نموذجاً كما يقول في مكان آخر من رسالته «كما يتخذنا كلّ واحد مثالاً» (في ٣: ١٧). ويقول هنا أيضاً: «هذا ما تعلّمتموه وقبلتموه» أي ما تعلمتموه مني من الأقوال والأعمال والتصرّف. وكونه لا يستطيع أن يذكر كلّ شيء بتدقيق يقول باختصار «ما سمعتموه مني وما رأيتموه» وكأنه يقول «افعلوا كذلك»، لا تكتفوا بالقول بل افعلوا.

«وإله السلام يكون معكم»: أي إن حفظتم كلّ هذا، وكان السلام بينكم، تعيشون بسلام وبضمانة كبيرة، ولن يؤذيكم أي شيء. فإن كنتم بسلام مع الرب (في الفضيلة) فسوف يكون هو أكثر فأكثر معكم، لأنه هو الذي أحبّنا أولاً إلى حدّ أنه تقبّلنا دون أن نريده، فكم بالأحرى يودّنا إن أسرعنا إليه؟...

لذلك علينا أن نقوم بالخطوة الأولى، وعندئذ نجتذب الله إلينا، لأن الله ليس إله الحرب ولا إله العداوة. لنقضِ إذاً على عداوتنا لله وللقريب، ولنكن مسالمين إزاء الجميع، لأن صانعي السلام يخلصهم الله: «طوبى لصانعي السلام لأنّهم أبناء الله يدعون».

القديس يوحنا الذهبي الفم

تجدر الإشارة إلى أنّه في القرون الأولى للمسيحيّة كانت تُقرأ خمس عشرة قراءة من أسفار العهد القديم: التكوين والخروج ويونان النبي ودانيال النبي وحزقيال النبي...، حيث كان يتم أثناء تلك القراءات معمودية الموعوظين الذين كانوا مدة أربعين يوماً، أي طيلة فترة الصوم، يتلقون التعليم حول الكتاب المقدس والأسرار. يذكر القديس كيرلس الأورشليمي في العظة الأخيرة من «العظات الأسرارية» وقبل إعطاء سر المعمودية: «لقد تعلمتم، طيلة هذه الأسابيع السبعة، كل ما تنص عنه الشريعة في الكتاب المقدس، وسمعتم أيضاً الشرح عن الإيمان وعن قيامة الجسد. واستمعتم أيضاً إلى شرح قانون الإيمان، على قدر ما استطعتم أن تسمعوا، طالما أنكم بعد موعوظين. أما عن السر الأعمق، العماد نفسه، فلا تستطيعون سماع شرحه طالما أنكم بعد موعوظون. وحتى لا تظنوا أن أمراً، أياً كان، يؤتى بدون شرح، فعندما باسم الله، تتقبلون العماد فلسوف تسمعون الكلام عنه، في كنيسة القيامة، في أثناء ثمانية الفصح، بعد صرف الجمع من الكنيسة. ولكن بما أنكم لا تزالون موعوظين فلا يمكن أن نكلمكم عن الأسرار الإلهية الأكثر عمقاً». في هذا السياق نرتّل في قداس سبت النور «أنتم الذين في المسيح اعتمدتم المسيح قد لبستم، هلليلويا»، ونقرأ من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية (٦: ٣-١٠) وهي نفس الرسالة التي نقرأها في المعمودية.

قبل تلاوة المقطع الإنجيلي الذي يصف زيارة النسوة للقبر وإعلان القيامة من فم الملاك، واجتماع كهنة اليهود، وظهور يسوع للتلاميذ المجتمعين في الجليل، تُفتح الأبواب الجانبية للهيكل ويخرج الكاهن وهو ينثر أوراق الغار علامة النصر مرتلاً «قم يا الله واحكم في الأرض، لأنّك ترث جميع الأمم». بها نستعجل القيامة، فربُّ المجد في القبر يستريح فيه من كل أعماله، من خلقه الجديد. «وبارك الله اليوم السابع لأنّ هذا هو يوم السبت المبارك، هذا هو يوم السكون والراحة الذي فيه استراح ابن الله الوحيد من كلِّ أعماله لما سبت بالجسد بواسطة سر التدبير الصائر بالموت» (ذكصا صلاة الغروب)، ولكنَّه قائم بالتأكيد ونحن على يقين من ذلك «وعاد أيضاً بواسطة القيامة إلى ما كان، ومنحنا حياة أبدية بما أنّه صالح وحده ومحبٌّ للبشر».

يعلن سبت النور القيامة، لكن بصوت خافت لذلك تدعونا الكنسة لأن نصمت ونقف بخوف ورعدة أمام عظمة الحدث مبتعدين عن همومنا الأرضيّة، وهذا ما تُسمعنا إياه في الدخول الكبير «ليصمت كل جسد بشري وليقف بخوف ورعدة ولا يفتكر في نفسه بشيء أرضي، فإنّ ملك الملوك وربَّ الأرباب يوافي ليُذبح ويُعطى مأكلاً للمؤمنين...». وفي هذا تذكيرٌ لنا في آخر يوم قبل الفصح بأن التوبة، التي عشناها طيلة الأربعين يوماً، هي التي تمكّننا وحدها من التأهّب لاستقبال الفصح العظيم. أهَّلنا الرب القائم من بين الأموات أن نكون أبناء القيامة نشارك ملكوت المسيح عصير الكرمة الجديد الذي للفرح الإلهي».

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**

**www.quartos.org.lb**